رباعيات الخيام بنظم د. هشام في دراسةٍ ذاتية

د. هشام سلطان الكاتب

تقديم

حظيتْ رباعياتُ الخيام باهتمامِ وإعجابِ الأدباءِ والشعراءِ من الناطقين بكلّ اللغات في العالم، وكثرتِ الدراساتُ حولها، وتعددتْ محاولاتُ ترجمتها نثراً أو شعراً إلى لغاتٍ كثيرةٍ، ولم تكنِ اللغةُ العربيةُ استثناءً من ذلك، بل نالتِ الرباعياتُ الكثيرَ من الاهتمام، وعكف عليها العديدُ من الأدباء والشعراءِ العربِ يحاولونَ ترجمتَها أو نظمَها، وأحصى بعضُ الخبراء ما يزيد عن سبعين محاولةً (١)، أكثر من ثلاثين منها نثريةً، والباقي ترجماتٌ شعريةٌ تباينتْ في أشكالها بين رباعيةٍ (يتشابه فيها روي الأشطر الأول والثاني والرابع)، وبين بيتين من الشعر لكلّ رباعيةٍ (يتشابه فيها روي الشطرين الثاني والرابع فقط)، واختار بعضُ الشعراء نظمَ كلّ رباعيةٍ بزيادته عددَ الأبيات على بيتين (ثلاثة أبيات: عيسى إسكندر المعلوف، أربعة أبيات: عبدالرحمن شكري، عبداللطيف النشار، طالب الحيدري، مهدي جاسم الشماسي ومحمد صالح القرق، خماسيات: محمد السباعي، ومحمد الهاشمي البغدادي، ستة أبيات: جميل الملائكة، سباعيات: وديع البستاني، ومحمد جميل العقيلي)،

ويمكن لمن يرغبُ في معرفة المزيدِ من التفاصيلِ أن يرجع إلى دراساتِ النقاد وتحليلاتهم، وما أكثَرَها، وما أعلى كعبَ من كتبوها، وأبرزُهم على الإطلاق د. يوسف بكار الذي يُعَدُّ من أهمِّ الخبراء في العالم العربيِّ في رباعيات الخيام (٢)، وهو من المتقنين اللغةَ الفارسية، أما أبرزُ الشعراء الذين نظموها فأولُهم في ذاكرة العرب الشاعرُ المصريُّ أحمد رامي الذي ساعده على الاشتهار أنَّ أمَّ كلثوم غنَّتْ مختاراتٍ من رباعياته، فبدا الأمرُ لغير المطَّلعين وكأنه الوحيدُ الذي نظمها، أو أنه أفضلُهم، غيرَ أنَّ الحقيقةَ أبعدُ ما تكونُ عن ذلك، فقد قام بنظمها العديدُ من الشعراء مثل أحمد الصافي النجفي وجميل صدقي الزهاوي، وعبد الحق فاضل، والثلاثةُ من العراق، ومحمد السباعي من مصر، وإبراهيم العريِّض من البحرين، وآخرُ من نظمها الشاعرُ الإماراتي محمد صالح القرق عام ٢٠٠٨، وهناك غيرُهم بالطبع، ولكنني لستُ في مجالِ بحثٍ شاملٍ، بل أحاولُ إلقاءَ شعاعٍ من الضوءِ قد يكونُ كافياً للقارئ، ويمكّنُ لمن يريدُ الاستزادةَ الرجوعُ إلى المصادر لمعرفة المزيد. وقد تفاوتَ هؤلاء الشعراء في أعدادِ ما نظموا من رباعيات: عبد الحق فاضل (٣٨١)، أحمد الصافي النجفي (٣٥١)، محمد صالح القرق (٢٠٠)، أحمد رامي (١٦٨)، إبراهيم العريِّض (١٥٢) (٣)، عبداللطيف النشار (٢٨)، ومحمد حسين عواد (٦ رباعيات) (٤). واختلفوا في بحورِ الشعر التي اختارَها كلٌّ منهم، كما تفاوتوا في مستوياتِ ما نظموه، وكانت للنقاد تعليقاتٌ وآراء في ذلك، ولعلَّ أكثرَهم يُجْمِعُ على أنَّ أفضلَ وأقوى ترجمةٍ شعريةٍ كانت لعبد الحق فاضل التي نُشرتْ عام ١٩٥١. إذن وبعدَ هذا التقديم البسيط، يأتي سؤالٌ ليطرحَ نفسَه، وهو: إذا كان هؤلاء العمالقةُ سبَّاقين في نظم الرباعيات، فهل بقي هناك مجالٌ لمزيدٍ من المحاولات؟ وهل هناك مَن يجرأُ على مقاربةِ هذه الأسماءِ الكبيرة؟ وجوابي المتواضعُ عن هذا السؤال هو: نعم ثم نعم، فبابُ الابداع لا يمكن أنْ يوصده أحدٌ، بل سيبقى مفتوحاً على مصراعيه أمام الجميع، وكلُّ جديدٍ سيكون متاحاً أمامَ القراء والأدباء والنقاد ليلقوا عليه أضواءَ فكرهم وتذوُّقهم الأدبيِّ، ثم ليصدروا عليه حكمَهم، إما بالاعجاب أو الانتقاد، وأنا مستعدٌّ لخوضِ هذه التجربة، وراضٍ بحكمهم مهما كان.

أما كيفيةُ اختياري هذه الطريق، فملخصُها أني حصلتُ على كتابٍ يضمُّ ترجمةً نثريةً للرباعيات قام بها المرحوم مصطفى وهبي التل (الشهير بعرار) الذي يوصف بأنه شاعر الأردن الأول، وقد ترجمَ فيه ١٦٩ رباعيةً من اللغة الفارسية على الرغم من أنه لم يكن يجيدُها تماماً، ولكنه استدرك الأمر باعتماده على القواميس، التي كان حسبَ قوله يرجع إليها أكثرَ من عشرين مرةً في ترجمة رباعيةٍ واحدةٍ

(٥)، مع ذلك لم تسلمْ ترجمتُه النثريةُ من الانتقادات، ووصفها نقادٌ بأنها غيرُ تامَّةِ الدقة. غير أنَّ الذي أصلح الأمرَ هو قيام د. يوسف بكار المشار إليه آنفاً بتصحيح الأخطاء في ترجمة التل، فكانت النتيجةُ الطبيعيةُ لذلك أنْ خرجتْ ترجمةٌ يمكن وبكلِّ ثقةٍ اعتبارُها أمينةً في نقل المعاني التي أرادَ عمر الخيام قولَها في رباعياته. وبناءً على هذا فقد اعتمدتُ على تلك الترجمةِ المحقَّقةِ ونظمتُ كلَّ ما فيها من رباعياتٍ دون إهمالِ أيٍّ منها، واخترتُ في نظمي البحرَ الطويلَ الذي يوصف بأنه (سيد البحور) لتذوُّقي هذا البحر وولعي به، فهو قد حوى إبداعاتِ الشعراء الأوائل العظام، وكان أكثرَ البحور استعمالاً في الشعر العربيِّ القديم والأصيل، فضلاً عن أني لم أجدْ فيمن سبقني من اعتمد عليه في نظم كلِّ رباعياته، وبهذا ضمنتُ ألا يظهر عندي تكرارٌ غيرُ مقصود لقواف اختارها السابقون ربما يتصوَّره البعضُ "تقليداً إن لم نقُل سرقةً" ما كان أغناني عنهما. وبعد إتمامي ذلك عثرتُ على ثماني رباعيات ترجمها نثراً أديبٌ أردنيٌّ آخرُ هو عيسى الناعوري، وحققها د. يوسف بكار أيضاً (٦)، فآثرتُ إلحاقَها بما نظمتُ ليبلغَ عددُ الرباعيات التي نظمتُها ١٧٧ رباعية، وحسب معلوماتي فإنَّ ثلاثةَ شعراءٍ فقط هم الذين تمكَّنوا من نظم رباعيات الخيام بصيغة (الرباعيات)، وهم: أحمد رامي، عبد الحق فاضل، وإبراهيم العريض (٧)، وتأتي رباعياتي لتجعلني رابعَهم.

جوهر البحث في ملاحظات على نظم رباعيات الخيام

سأتطرقُ في ملاحظاتي هذه أولاً إلى مسألةٍ عانيتُ منها كثيراً لدى نظمي رباعيات الخيام، وهي الموازنةُ بين المعنى الأصليِّ الذي قاله الخيام، وبين صياغة المعنى بلغةٍ عربيةٍ تخضع لقيود الوزن الشعري، وتجتنبُ قدرَ الإمكانِ أيَّ إضافةٍ أو حذفٍ لما أورده الخيام، وهذا من أصعب القيود، وقد عانى منه مَن سبقني من الشعراء الذين نظموا الرباعيات، بل واشتكى منه بعضُهم في مقدمة رباعياته، كما فعلَ أحمد الصافي النجفي الذي كتبَ قائلاً (٨): (وقد أدركتُ حينئذٍ خطورةَ موقفي وما يعترضني فيه من العقبات مما يدركه كلُّ مَن عانى ترجمةَ الشعر بشعرٍ مثله، ولا غروَ فإنَّ نقلَ المعنى شعراً من لغةٍ إلى أخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الأصليِّ بحيثُ لا يبدو عليه أثرُ التكلُّف في الترجمة أمرٌ شاقٌّ تَهي دونَه العزائمُ وتقفُ الهممُ حائرةً أمامَه)، وقال بعد ذلك: (تقريبُ التعريب بقدرِ الطاقة من الذوق العربي، وكان ذلك يلجئني أحياناً إلى أنْ أُفرغَ الرباعيةَ الواحدةَ في أكثرَ من عشرينَ سبكاً حتى أختارَ من بينها السبكَ الوافيَ بأداء المعنى والمطابقَ للذوق العربي، وكثيراً ما كنتُ أضحِّي بخيالي الشعريِّ في سبيل تحقيقِ هذه المهمة، وربما يرى القارئُ الأديبُ كلماتٍ في الترجمة يمكنُ استبدالُها بأحسنَ منها، ولكنْ ليثقْ من أني قد آثرتُ هذه الكلماتِ على غيرها مما هو أنسبُ منها للذوق لئلا يؤدِّيَ تبديلُها إلى خللٍ في المعنى الأصلي).

أما أحمد رامي فلم يكن أحسنَ حالاً، واضطرَّ في حالاتٍ كثيرةٍ إلى إضافة كلماتٍ لا أصلَ لها في كلام الخيام، ولكنَّ إكمالَ الوزنِ الشعريِّ ألجأه إلى تلك الإضافات التي أتى بها حسب سياق الكلام ليستقرَّ وزنُ بيته الشعري، وكمثالٍ أورد هنا إحدى الرباعيات (٩) التي نظمها قائلاً:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الْعَيْشِ لَمْ أُسْتَشَرْ
وَحِرْتُ فِيْهِ بَيْنَ شَتَّى الْفِكَرْ
وَسَوْفَ أَنْضُوْ الثَّوْبَ عَنِّيْ وَلَمْ
أُدْرِكْ لِمَاذَا جِئْتُ، أَيْنَ الْمَفَرْ؟

إنَّ جملةَ (أين المفر؟) ليست موجودةً في أصل الرباعية كما نظمها الخيام، ولكنَّ أحمد رامي أتى بها مضطرَّاً ليكملَ وزنَ وقافيةَ البيت الشعري، ولا يُلام في هذا، بل هو أسلوبٌ اتَّبعه في نظمه، وربما لجأ مثله كلُّ الشعراء الذين نظموا الرباعيات إلى الإضافات أو الحذف مكرَهينَ لا أبطالا.

إنَّ الرباعيةَ التي أشرتُ إليها هي الرباعية الثالثة في الترجمة النثرية للتل، والتي نظمتُها كما يلي:

أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا كَانَ بِالبَالِ
وَبِتُّ بِهَا فِيْ حَيْرَةٍ بَعْدَ بَلْبَالِ
وَهَا أَنَا عَنْهَا رَغْمَ أَنْفِيَ رَاحِلٌ
فَمَنْ مُخْبِرِيْ عَنْ سِرِّ حَلِّيْ وَتَرْحَالِيْ؟

وعلى الرغم من أنَّ رباعيتي أقربُ إلى المعنى الأصليِّ من رباعية رامي، إلا أنها لم تؤدِّ المعنى كاملاً، لأنَّ الترجمةَ النثريةَ للشطر الأخير كانت: (فليتني أعلمُ القصدَ من رحيلي ومن مقدمي وإقامتي)، حيث يذكر الخيامُ جهلَه ثلاثةَ أمورٍ هي مقدمُه وإقامتُه ورحيلُه، بينما ذكرتُ في رباعيتي أمرين فقط هما القدومُ والرحيلُ، وتجاهلتُ الإقامةَ، وهذا حذفٌ ربما ينتقصُ من الدقَّة في نقل المعنى. وقد كنتُ أستطيع ذكرَ الأمور الثلاثة بجعل الشطر الأخير كما يلي: (وَلَمْ أَدْرِ مَا حَلِّي وَمُكْثِي وَتَرْحَالِي)، ولكني آثرتُ الصيغةَ الأولى لأني وجدتُها أقوى وقعاً، على الرغم من تضحيتها بجزءٍ من المعنى.

وأرى من المناسب هنا أنْ أوردَ رباعيةً للخيام كما نظمها عبد الحق فاضل، وهي:

أنا لا أحتملُ العيشَ بلا خمرٍ تدورْ
لا ولا أحملُ جسمي فهو محمولٌ فظيعْ
أنا أهوى لحظةً يسألني الساقي بها:
(قدحاً آخرَ فاشربْ) وأنا لا أستطيعْ

وهذه الرباعيةُ هي الرباعية ١٦٣ في ترجمة عرار النثرية، وقال فيها: (أنا لا أستطيعُ أنْ أحيا بغير الخمرة، ولا أقوى على حملِ ثقلِ هذا الجسدِ بدونها، بنفسي تلك الساعةُ التي يعرضُ بها عليَّ الساقي كأساً أرفضُها، لا عن زهدٍ فيها ورغبةٍ عنها، بل لأنَّ السكرَ سلبني قوةَ تناولها). وصحَّحَ الدكتور يوسف بكار ترجمةَ النصف الأخير من الرباعية بقوله: (إنني أسيرُ تلك اللحظة التي يرغبُ إليَّ فيها الساقي، بكأسٍ أخرى ولا أستطيع). والملاحظُ هنا أنَّ الشطرَ الشعريَّ الثانيَ يحملُ في طيَّاته ابتعاداً عن المعنى الأصليِّ الذي قاله الخيام، فهو يشيرُ إلى صعوبة حملِ الخيام ثقلَ جسمه دون ربطِ ذلك بغيابِ الخمرة، وكأنَّ هذه الصعوبةَ تواجهُه في الصحوِ والسكرِ معاً، ولعلَّه تركَ مهمةَ الربطِ إلى القارئِ الكريمِ الذي سيقوم بها في لاوعيه. كما أنَّ الشطرَ الرابعَ يحوي تركيباً لغوياً معقداً على الرغم من صحته، فقد قال: (قدحاً آخرَ فاشربْ)، ولعلَّه لو قال: (أتريدُ الكأسَ أخرى؟) لبقيَ الوزنُ مستقيماً ولكانَ قولُه أكثرَ سلاسةً. وتبقى بعدَ ذلك مسألةٌ عروضيةٌ وهي: يبدو من الظاهرِ أنَّ الرويَّ هنا هو حرفُ العين، ولكنَّ مَن له إلمامٌ بالعروضِ سيكتشفُ على الفورِ أنَّ كلَّ (شطر) ما هو بشطرٍ! وآيةُ ذلك تفعيلاتُ (فاعلاتنْ) الأربعُ الموجودةُ في كلِّ (شطر) والتي تجعلُه بيتاً كاملاً من مجزوءِ الرمل، في حين كان المفروضُ أنْ تَردَ (فاعلاتنْ) ثلاثَ مراتٍ فقط لو كان النصُّ شطراً من بحرِ الرمَل. فإنْ قالَ قائلٌ: (وماذا في ذلك؟ فلتكنْ أربعةَ أبياتٍ بدلَ بيتين، فقد فعلَ هذا شعراء آخرونَ نظموا الرباعياتِ الخياميةَ بصيغة أربعةِ أبياتٍ مثل عبدالرحمن شكري، عبداللطيف النشار، طالب الحيدري، مهدي جاسم الشماسي ومحمد صالح القرق)، ولكنْ سيأتي الاعتراضُ على ذلكَ سريعاً، وهو أنَّ حروفَ الرويِّ لِمَا يُراد تخريجُه على أنه أربعةُ أبياتٍ ستتباينُ عندَها بين راءٍ وعينٍ وهاءٍ ثم عين! وقد نظمتُ هذه الرباعيةَ كما يأتي:

مُحَالٌ عَلَيَّ الْعَيْشُ يَوْمَاً بلا خَمْرِ
وَحَمْلِيْ لثقْلِ الْجِسْمِ في الْصَّحْوِ كَالإِمْرِ
فَمَنْ لِيْ بِآنٍ فِيْهِ أُرْجِعُ سَاقِيَاً؟
لِصَعْفِيْ عَنِ الإِمْسَاكِ بِالْكَأْسِ مِنْ سُكْرِيْ

وأعتقدُ أنَّ الرباعيةَ بهذا النظم أكثرُ قرباً إلى المعنى الذي قاله الخيام.

أنتقلُ الآنَ إلى مسألة جديرة بأنْ يُلقى عليها الضوءُ رغم نُدرتها في الشعر، وهي استخدامُ التدوير في البحر الطويل، وقد فعلتُ هذا مرتين في نظمي لرباعيات الخيام، الأولى في الرباعية ٩١:

أَرَى نَفَسَاً قَدْ حَدَّ كُفْرَاً وَإِيْمَانَا
وَفِيْ نَفَسٍ مَا حَدَّ شَكَّاً وَإِيْقَانَا
وَمَا دَامَ هذَا الْعُمْرُ كَالنَّفَسِ الْوَحِيْـ
ـدِ دَعْنَا نُعَامِلْهُ كَأَنْفَاسٍ مَا كَانَا

والثانية في الرباعية ١٣٦:

كِفَاحُكَ مِنْ أَجْلِ الْطَّعَامِ وَمَا يُلْبَسْ
عَذَرْنَاهُ، لكنْ مَا عَدَا ذَاكَ فَلْيُطْمَسْ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ فَلا تَذْبَحَنَّ فَضْـ
ـلَةَ الْعُمْرِ فِيْ مَيْدَانِ مَا حُقَّ أَنْ يُبْخَسْ

والأمرُ نادرٌ فعلاً إلى حدٍّ أنَّ الكثيرين يتصوَّرونه غيرَ موجود، ووصلَ الأمرُ بالبعضِ إلى القولِ لي: (لا يجوزُ التدويرُ في البحر الطويل)، ولدى مطالبتي القائلَ بالمصدرِ الذي يحوي هذا (القانون) تملَّصَ بمطالبتي أنا أنْ أُسْمِعَهُ من أدبنا العربيِّ بيتاً مدوَّراً من البحر الطويل! وكنتُ بالفعل قرأتُ قبل سنوات طويلات بيتاً كهذا ولكنه غابَ في طيَّات الذاكرة فتعذَّرَ عليَّ الاستشهادُ بما يدعم استعمالي للتدوير في البحر الطويل، وبانت على وجه صاحبي علاماتُ الانتصار، مما استفزَّني ودفعني إلى البحث في الشبكة العنكبوتية التي أسعفتني والحمد لله بعشرات الشواهد بدل الشاهد الواحد، وفيما يلي بعضُ الأمثلة:

قال عمر بن أبي ربيعة (١٠):

هنيئاً لأهلِ العامرية نشرُها الـــ
ـــلذيذُ ورياها الذي أتذكَّرُ

وقال أبو العتاهية (١١):

وليس دبيبُ الذرِّ فوق الصفاة في الـــ
ـــظلام بأخفى من رياءٍ ولا شرك

وقال أبو تمام (١٢):

نظمتُ له عقداً من المدح تنضُبُ الـــ
ـــبحورُ وما داناه من حَلْيِها عِقْدُ

وقال المتنبي (١٣):

وكم من جبالٍ جُبتُ تشهدُ أنني الـــ
ـــجبالُ وبحرٍ شاهد أنني البحرُ

ويذكر الدكتور أحمد كشك في كتابه المعنون (التدويرُ في الشعر- دراسةٌ في النحو والمعنى والإيقاع) (١٤) أنه أحصى في تراثنا الشعريِّ ٥٢ بيتاً مدوَّراً من البحر الطويل.

وأنتقلُ بعد ذلك إلى الرباعية ٥١ التي كانت ترجمتُها النثرية كما يلي: (أيها الغافلون، هذا الذي نسمِّيه جسداً هو لا

شيء، وهذه السماواتُ ذاتُ الأفلاك التسعة هي أيضاً لا شيء، فما لنا لا ننعمُ بالملاهي والملاذِّ في هذه الدنيا، التي لا يربطنا بها إلا نَفَسٌ واحدٌ هو في الحقيقة لا شيء). وسرعان ما أدركتُ الصعوبةَ الكبيرةَ التي تواجهني في هذه الرباعية، وهي وجوبُ تكرارِ كلمة (شيء) في نهايات الأشطر الأول والثاني والرابع، وهذا غيرُ جائزٍ في الشعر العربيِّ الذي لا يسمحُ بتكرارِ القافية إلا بعد سبعة أبيات! وحتى إذا دمجتُ (لا) مع (شيء) لتصبح (لاشيء) كلمةً واحدةً بدلَ كلمتين، فإنَّ هذا العملَ قد ينقذني من تكرارِ واحد، ويبقى لديَّ تكرارٌ ثانٍ لا حلَّ له على الإطلاق، ورحتُ أفكّرُ في تجاوُزِ هذه الرباعية بإهمال نظمها، ولكني وجدتُ أنَّ هذا حلٌّ ينطبق عليه قولُ المتنبي: (وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ) لأنه اعترافٌ بالعجز لا أرضاه لنفسي، وأنا الذي نشرتُ فيما سبقَ بيتين من الشعر قلتُ فيهما:

تَمَكَّنْتُ مِنْ مَتْنِ الْقَرِيْضِ مَطِيَّةً
وَيَسْجُدُ لِيْ شَيْطَانُهُ عِنْدَمَا أُومِيْ
وَوَاللهِ مَا حَاوَلْتُ مَعْنَىً أُرِيْدُهُ
فَأَعْجَزَنِيْ إِلْبَاسُهُ زِيَّ مَنْظُوْمِ

وبقيتُ أحاولُ العثورَ على مخرجٍ من هذه الورطة، وبعد تفكيرٍ طويلٍ، وتَقَلُّبٍ في الرأي بين الاستمرارِ وبين الهرب، عثرتُ على الحلِّ الذي كان سهلاً جداً وأمام عيني من البداية، ولكني لم أنتبه له إلا بعدَ أنْ أوشكتُ على رفعِ رايةِ الاستسلام! وقد جاءني هذا الحلُّ عندما وقعَ نظري على النصِّ الفارسيِّ للرباعية لأجدَ أنَّ الخيامَ نفسَه استخدم كلمة (هيجست) في قافيته ثلاثَ مرات! ورغم أني لا أعرفُ اللغةَ الفارسية، إلا أني أعرفُ أنَّ كلمةَ (هيج) تعني (لا شيء) في لهجتنا الموصلية التي فيها استعاراتٌ كثيرةٌ من لغات الشعوب المجاورة، وسارعتُ إلى قاموسٍ فارسي-عربي وبحثتُ فيه عن معنى كلمة (هيج) فوجدته (لا شيء) كما توقعتُ! وهكذا أتاني الفرجُ من حيث لم أحتسبْ أيْ من الخيام نفسه، وسرعان ما نظمتُ الرباعيةَ بالشكلِ التالي:

بِجَهْلٍ نُسَمِّيْ جِسْمَنَا وَهْوَ لاشَيْءُ
كَذَاكَ السَّمَا ذَاتُ الْمَسَارَاتِ لاشَيْءُ
فَمَا بَالُنَا نَجْفُو الْمَلاهِيْ وَإِنَّنَا
عَلَى نَفَسٍ نَمْضِيْ، وَمَا قَدْرُهُ شَيْءُ

ويتضح هنا أني استعملتُ (لاشيء) في نهايَتَي الشطرين الأول والثاني على طريقة الخيام في التكرار، واستعملتُ جملةَ (وَمَا قَدْرُهُ شَيْءٌ) في نهاية الشطر الرابع لأتجنب تكرارَ (لاشيء) مرةً ثالثةً، معتمداً على أني دمجتُ (لاشيء) في البيت الأول لتصبح مختلفةً عن (شيء) في نهاية الشطر الرابع.

وإذا كنتُ قد تنفستُ الصعداءَ لخلاصي من هذا الموقف الصعب، فإنَّ فرحتي لم تدُم طويلاً، لأني صُدِمْتُ من جديد عند انتقالي إلى الرباعية ٥٢ التي كانت ترجمتُها النثرية: (لقد رأيتَ الدنيا، وكلُّ ما رأيتَ لا شيء، لقد كان كلُّ ما سمعتَ وما قلتَ لا شيء، حتى طوافُك الآفاقَ من أقصاها إلى أقصاها لا شيء، حتى اعتزالُكَ الناسَ وانزواؤُكَ في البيت هو أيضاً لا شيء). فما هذا الذي أواجهُه؟ هل أنا أحاربُ الهايدرا التي كلما قُطِعَ لها رأسٌ نبتَ لها آخرُ مكانَه؟ فأنا بالكاد تخلصتُ من مشكلة تكرار (لا شيء) في الرباعية السابقة، وها هي المشكلة نفسُها تعودُ من جديد، فما هذا الإصرارُ على وضعِ العراقيلِ أمامي؟ وعلى الرغم من أني وجدتُ الخيامَ كرر كلمةَ (هيجست) في هذه الرباعية أربعَ مرات في قافيته، إلا أني ترددتُ كثيراً في تكرار كلمة (لا شيء) كما فعلتُ في الرباعية السابقة. ورحتُ أبحث عن حلٍّ جديد هذه المرة. وبعد تفكيرٍ طويلٍ توصلتُ إلى الحلِّ المنشود، وكان مختلفاً بالفعل، وجاءت الرباعية كما يلي:

تَلِيْقُ بِـ(لا شَيْءٍ) مَرَائِيْكَ أَجْمَعُ
كَذَاكَ الَّذِيْ قَدْ كُنْتَ عُمْرَكَ تَسْمَعُ
كَذَاكَ طَوَافُ الْمَرْءِ بِالأَرْضِ كُلِّهَا
وَقُلْ مِثْلَ ذَا فِيْ عُزْلَةٍ لَيْسَ تَنْفَعُ

وفيها استعملتُ (لا شيء) مرةً واحدةً في الشطر الأول، وتجنبتُ تكرارَها باللجوء إلى كلمة (كذاك) في الشطرين الثاني والثالث، واستعمال جملة (وَقُلْ مِثْلَ ذَا) في الشطر الرابع. وأعتقد أنَّ الحلَّ الذي وجدتُه أفضلُ من تكرار (لا شيء) أربعَ مرات.

وأجدُ من المناسب هنا الإشارةَ إلى اقتباسٍ طويلٍ من بحث الدكتور محمد السعيد جمال الدين المعنوَن (الترجماتُ العربيةُ لرباعيات الخيام) (١٥)، وفيه قال: (حرصَ بعضُ المترجمين عن الفارسية على مراعاة الذوق العربيِّ في الترجمة، كأحمد الصافي النجفي، على حين حرصَ بعضُهمُ الآخرُ على نقل الذوق الفارسيِّ بتشبيهاته واستعاراته دون تغييرٍ إلى أدبنا العربي. من هؤلاء عبد الحق فاضل الذي بيَّن أنه أبقى في ترجمته للرباعيات على التشبيهات والاستعارات الواردة كما هي دون تغيير حتى ولو كانت تخالفُ الذوقَ العربي. ويبدو أنَّ عبد الحق فاضل حاول بطريقته هذه أنْ يجعلَ الذوقَ الفارسيَّ مقبولاً لدى القارئِ العربيِّ. ويمكننا أنْ نتبيَّنَ وجهَ الاختلاف

بين الطريقتين في ترجمة كلٍّ من النجفي وفاضل للرباعية التي ترجمتُها الحرفية:

هب الدنيا مسوقةً وفقَ المراد، وماذا بعدُ؟
وهبْ سِفْرَ العمر مقروءاً، وماذا بعدُ؟
دعني أتصور أنك عشتَ سعيداً مائةَ عام، وماذا بعدُ؟
هبْ أنك قد عمّرتَ بعدَها مائةَ عام، وماذا بعدُ؟

وقد ترجمها عبد الحق فاضل شعراً على النحو التالي (الرباعية رقم ٢١٢):

أفرضِ الدهرَ بما تأمُرُ مَرًا
ثم ماذا؟
أفرض أنْ قد قرأتَ الكونَ سِفْرًا
ثم ماذا؟
هبكَ قد عشتَ سعيدَ القلبِ عصرا
ثم ماذا؟
ثم بعد العصرِ عصراً أو فدهرا
ثم ماذا؟

لقد حاولَ المترجمُ هنا أنْ يستعملَ إيقاعاً من الإيقاعات الفارسية الغريبة على الذوق العربيِّ حين استخدمَ ما يُسمَّى في الفارسية بالرديف، الذي يلي القافيةَ الأصليةَ ويتكرَّرُ في كلِّ الشطرات أو الأبيات، فالقافيةُ هنا هي الراء، والرديفُ هو: ثم ماذا؟ وهذا النوعُ من الإيقاع – وإن كان غريباً على العربية- شائعٌ في الفارسية، استعمله كبارُ شعراءِ الفرس كسنائي الغزنوي وجلال الدين الرومي وغيرهما.

أما النجفيُّ فقد ترجم الرباعيةَ على النحو التالي:

هَبِ الدُّنْيَا كَمَا تَهْوَاهُ كَانَتْ
وَكُنْتَ قَرَأْتَ أَسْفَارَ الْحَيَاةِ
وَهَبْكَ بَلَغْتَهَا مِئَتَيْنِ حَوْلاً
فَمَاذَا بَعْدَ ذَاكَ سِوَى الْمَمَاتِ؟

لقد ترجم النجفيُّ الرباعيةَ ترجمةً تتَّفقُ والذوقَ العربيَّ، وكما يقول الدكتور يوسف بكار: (فإنه قد تصرَّفَ تصرُّفاً شعرياً حين لم ينصَع انصياعاً أعمى للاستعمال الفارسيِّ، بل ترجمه بما يوائم الذوقَ العربيَّ وطبيعةَ الشعرِ العربيِّ).

على أنَّ النجفيَّ إذا كان قد أحسنَ صنعاً بمراعاته لذوقِ القارئِ العربيِّ، فإنَّ علم الأدبِ المقارنِ لا يصادرُ رغبةَ المترجم في أنْ ينقلَ إلى لغته إيقاعاً جديداً عليها، فربما حظيَ بالقبول فيها، بشرط أنْ تكونَ لهذا النقلِ دلالةٌ معنويةٌ مرتبطةٌ بالعملِ الفنيِّ وتأثيرِه في نفسِ القارئ. ونحن إذا أمعنَّا النظرَ في ترجمة عبد الحق فاضل نجدها –برغم مجانبتها الشكلية للذوق العربي- أكثرَ التزاماً بروح الرباعية الفارسية في تأكيدها على مفتاح الرباعية الذي يفصح عنه التساؤلُ الملحُّ: ثم ماذا؟ وهو تساؤلٌ يعقبُ كلَّ خطرةٍ من خطراتِ الذهنِ وكلَّ طموحٍ من طموحاتِ النفس، وكلَّ أملٍ تصبو إليه حتى لو تحقَّقَ ... ثم ماذا؟ هذا التساؤلُ الملحُّ هو ما أراده الشاعرُ في الأصل، فلا تثريبَ عليه، فربما صادفَ فيها من القبولِ ما يجعله مساغاً لأهل اللغة مستحَبَّاً لديهم، وربما وجدَ فيها فسحةً تسمح له أنْ يضيف إلى إيقاعاتها ومؤثِّراتها الفنية).

ومما سبقَ يتبيَّنُ أني نظمتُ الرباعيةَ ٥١ بطريقةٍ مقاربةٍ لاستخدام الرديف كما فعلَ عبد الحق فاضل، بينما نظمتُ الرباعية ٥٢ بتقريبِ الرباعية إلى الذوق العربيِّ كما فعلَ النجفي.

وإذا جازَ لي أنْ أستطردَ هنا، فإني أودُّ إيرادَ نظمي لهذه الرباعية المذكورةِ آنفاً والتي اختلفَ عبد الحق فاضل وأحمد الصافي النجفي في طريقة نظمها، لتصبحَ أمامنا ثلاثُ رباعياتٍ بالعربية كانت في الأصلِ رباعيةً واحدةً بالفارسية:

إِذَا مِنْكَ أَسْفَارُ الْحَيَاةِ غَدَتْ تُتْلَى
وَعِشْتَ مِنَ الأَعْوَامِ قَرْنَاً كَمَا تَهْوَى
وَخُذْ مِثْلَهُ مِنْ بَعْدِه فِي سَعَادَةٍ
فَكَيْفَ تُرَى كُلُّ الأُمُورِ غَدَاً تُنْهَى؟

وكمثالٍ أخير أورد هنا الرباعية ١٠٢ التي ترجمها التل نثراً كما يلي: (لقد اغتسلت الرياضُ بطَلِّ الربيع، فارتأبتْ صدوعُ قلبِ الزمان، سَرَاعِ لاحتساء كؤوس السلاف، ومليح لم ينبتْ عذارُهُ بعدُ في روضةٍ أنبتتْ روائعَ الزهور، من تربةٍ تَعَسٍ وجبَ عليك ذكرُه كلما أديرت الأقداح). ولكنَّ المحققَ د. يوسف بكار يذكر في هامشه أنَّ الترجمةَ الدقيقةَ للشطر الأخير هي: (لِتُسْعِدَ مَنْ مِنْ قَبْرِه نَبَتَ الْعُشْبُ). وقد تفاجأتُ بأنَّ ترجمة د. بكار موزونةٌ تماماً وعلى البحرِ نفسه الذي أنظم رباعياتي عليه وهو البحرُ الطويل! ولم أتردد في إكمال الرباعية التي نظمتُها كما يلي:

سَقَى الْبِيْدَ غَيْثٌ فِي الْرَّبِيْعِ لَهُ سَكْبُ
وَطَابَ أَخِيْرَاً لِلْزَّمَانِ بِذَا قَلْبُ
فَسَارِعْ لِشُرْبِ الْخَمْرِ فِي الْرَّوْضِ مَعْ فَتَىً
لِتُسْعِدَ مَنْ مِنْ رَمْسِه نَبَتَ الْعُشْبُ

غيرَ مُبْدِلٍ في الشطر الرابع إلا كلمةً واحدةً هي (قبره) التي جعلتُها (رمسه). وواصلتُ نظمَ الرباعيات اللاحقة، ولكني طوالَ الوقتِ لم أكن مطمئناً إلى ما فعلتُه باقتباسي شطراً ليس من نظمي. وأخيراً عدتُ إلى هذه الرباعية فنظمتُها من جديد بنيَّةِ تغييرِ سبكِ الشطر الرابع جذرياً مع ما يتطلبُه الأمرُ من تغييرات أخرى تفرض نفسَها في الرباعية كلِّها، وجاءت الرباعيةُ

في شكلها الجديد كما يلي:

سَقَى الْبَيْدَ غَيْثٌ فِي الرَّبِيْعِ هَمَى سَكْبَا
وَطَيَّبَ بِالإِرْوَاءِ فِي دَهْرِنَا قَلْبَا
فَسَارِعْ لِشُرْبِ الْخَمْرِ فِي الرَّوْضِ مَعْ فَتَىً
وَأَفْرِحْ نِيَامَاً فِي الثَّرَى أَنْبَتُوْا الْعُشْبَا

فهل يمكنني الآنَ اعتبارُ الشكلِ الجديدِ للرباعيةِ كافياً؟ ربما يكون الجوابُ بالإيجابِ، ولكنّ خطرَ لي عندها أنَّ تغييراً بسيطاً في الكلمتين الأخيرتين من الشطر الرابع سيرتقي بمستواه الشعريِّ كثيراً، وذلك التغيير هو تحويلُ (أَنْبَتُوْا الْعُشْبَا) لتصبح (نَبَتُوْا عُشْبَا)، ولتصبحَ الرباعيةُ في شكلها النهائيِّ كما يلي:

سَقَى الْبَيْدَ غَيْثٌ فِي الرَّبِيْعِ هَمَى سَكْبَا
وَطَيَّبَ بِالإِرْوَاءِ فِي دَهْرِنَا قَلْبَا
فَسَارِعْ لِشُرْبِ الْخَمْرِ فِي الرَّوْضِ مَعْ فَتَىً
وَأَفْرِحْ نِيَامَاً فِي الثَّرَى نَبَتُوْا عُشْبَا

ومع إدراكي أنَّ هذه الصيغةَ النهائيةَ قد ابتعدتْ بعض الشيء عن المعنى الأصليِّ الذي قاله الخيام، إلا أنني آثرتُها لأنَّ الشاعرَ الذي بداخلي تغلَّب على المترجم الحرفيِّ واختار أنْ يحلِّقَ قليلاً متحرِّرَاً من القيود، وأتركُ الحكمَ في هذه المسألة لمن يشاء إبداءَ رأيه فيها.

وبالطبع فإنَّ هناك الكثيرَ من الملاحظات الأخرى التي لا تقلُّ أهميةً عما ذكرتُه، ولكني سأكتفي بالقدرِ اليسيرِ الذي أشرتُ إليه، ولَعَلِّي أكتبُ المزيدَ في بحثٍ لاحقٍ إنْ شاء الله.

نماذج من نظمي لرباعيات الخيام

١-نَرَى أَزَلاً كَالسِّرِّ فِي عَقْلِنَا مُبْهَمْ
وَأَعْنِيْ بِهِ مَا لَسْتُ أَفْهَمُ أَوْ تَفْهَمْ
كَلانَا لَهُ قِيْلٌ وَقَالٌ بِظَنِّهِ
وَيُسْكِتُنَا إِسْدَالُ سِتْرٍ بِهِ نُعْدَمْ

٦- سَلَكْنَا دُرُوْبَ الأَرْضِ نَطْلُبُ أَسْبَابَا
وَجُلْنَا بِكُلِّ الأَرْضِ نَفْتَحُ أَبْوَابَا
وَهَا هُوَ دَرْبٌ مَا أَعَادَ مُسَافِرَاً
فَكُلُّ امْرِئٍ فِيْهِ مَضَى قَطُّ مَا آبَا

١٠- إِذَا مَا اسْتَطَاعَ الْقَلْبُ لِلعَيْشِ إِدْرَاكَا
لأَدْرَكَ حَقَّاً حِكْمَةَ الْمَوْتِ إِذْ ذَاكَا
فَإِنْ كُنْتَ حِيْنَ الْعَيْشِ تَجْهَلُ سِرَّهَا
فَمَاذَا سَتَدْرِيْ حِيْنَ مَوْتُكَ يَغْشَاكَا؟

١١- لَكَمْ سُحِقَتْ نَفْسٌ طَهُوْرٌ بِآمَالِ
وَأَمْسَتْ رَمَاداً مِنْ قَضَاءٍ وَآجَالِ
فَأَيْنَ دُخَانُ الْحَرْقِ؟ مَا قَدْرُ حُلْمِنَا؟
وَمَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنْ مُقَامٍ وَتَرْحَالِ؟

١٤- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْعَقْلِ وَانْسَ الْخُرَافَاتِ
وَدَعْ هذه الأَجْرَامَ رَهْنَ السَّمَاوَاتِ
نَخَالُ لَهَا شَأْنَاً بِتَدْبِيْرِ كَوْنِنَا
وَمَا هِيَ إِلا مِثْلُنَا فِي مَتَاهَاتِ

١٥- أَلِلدَّهْرِ كَسْبٌ مِنْ حَيَاتِيْ وَأَيَّامِيْ؟
وَهَلْ سَوْفَ يَحْلُوْ الدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ إِعْدَامِيْ؟
وَهَلْ سَمِعَتْ أُذْنَايَ هَمْسَاً لِقَائِلٍ
يُبَيِّنُ عَنْ مَغْزَى مَجِيْئِيْ لأَيَّامِ؟

١٧- إِذَا مَا يَقِيْنٌ ذَا أَمِ الْحَقُّ لَمْ تَدْرِ
فَلا يَسْلُبَنَّ الشَّكُّ مَا عِشْتَ مِنْ عُمْرِ
وَلا تُفْلِتَنْ كَأْسَ السُّلافِ دَقِيْقَةً
فَسِيَّانِ عِنْدَ الْجَهْلِ صَحْوٌ مَعَ السُّكْرِ

١٨- بِمَأْتَاكَ لا تَدْرِيْ، فَوَاظِبْ عَلَى الشُّرْبِ
وَرُمْ لَذَّةً، يَا جَاهِلاً آخِرَ الدَّرْبِ
وَفَكِّرْ بِهذِيْ الرُّوْحِ قَبْلَ فِرَاقِهَا
فَإِنَّ الرَّدَى آتٍ لِيُخْفِيْكَ بِالْحُجْبِ

١٩- جَحِيْمٌ وَفِرْدَوْسٌ بِغَيْرِ وُصُوْلِ
وَلَمْ نَرَ مِنْ أَيٍّ رُجُوْعَ رَسُوْلِ
فَمَا بَالُنَا نَخْشَى وَنَرْجُوْ بِظَنِّنَا؟
وَمَا عِنْدَنَا فِي ذَاكَ أَيُّ دَلِيْلِ

٢٠- إِذَا كُنْتَ عَبْدَاً لِلْهَوَى وَالْمَلَذَّاتِ
فَأَنْتَ إِذَنْ تَعْسٌ أَسِيْرٌ لِخَيْبَاتِ
تَأَمَّلْ وَقُلْ: مَا أَنْتَ؟ مِنْ أَيْنَ قَادِمٌ؟
وَأَيْنَ غَدَاً تَمْضِيْ؟ وَمَا شَأْنُكَ الآتِيْ؟

٢١- نُحَاطُ بِسِرٍّ حُجْبُهُ لا تُمَزَّقُ
وَفِي خَلْقِ نَفْسِيْ عُقْدَةٌ كَيْفَ تُخْرَقُ؟
وَمَا غَيْرُ طَيَّاتِ التُّرَابِ تَضُمُّنَا
وَتَفْسِيْرُ مَنْ حَوْلِيْ هُرَاءٌ مُلَفَّقُ

٢٤- أَرَى هذه الدُّنْيَا كَدَارٍ لأَوْهَامِ
وَمِضْمَارَ لَهْوٍ قَدْ حَوَى خَيْلَ أَيَّامِ
بَقَايَا سِمَاطٍ أَلْفُ جَمْشِيْدَ زَارَهُ
وَمُتَّكَأً ضَمَّ الْمِئَاتِ كَبَهْرَامِ

٢٥- غَدَا سَوْفَ تَمْضِيْ رُوْحُ كُلٍّ عَنِ الْبَدَنْ
فَيُلْقُوْنَ آجُرَّاً عَلَى الْقَبْرِ وَالْكَفَنْ
وَمِنْ بَعْدِنَا آجُرُّهُمْ بَعْضُ جِسْمِنَا
فَيُلْقِيْهِ دَفَّانٌ عَلَى قَبْرِ مَنْ دَفَنْ

٢٦- أَرَى كَثْرَةً فَوْقَ الأَدِيْمِ هُجُوْعَا
وَضِعْفَهُمُ تَحْتَ التُّرَابِ صَرِيْعَا
وَمَهْمَا تَمَعَّنَّا بِبَيْدَاءِ دَفْنِهِمْ
فَلَسْنَا نَرَى مَنْ يَسْتَطِيْعُ رُجُوْعَا

٢٨- بِحَانُوْتِ خَزَّافٍ حَظِيْتُ بِأَسْرَارِ
أَبَارِيْقَ تُبْدِيْ الصَّمْتَ، تَحْكِيْ بِإِسْرَارِ
تَحَدَّثُ فِيْمَا بَيْنَهَا: "أَيْنَ صَانِعٌ
لَنَا؟ أَيْنَ بَيَّاعٌ؟ وَأَيْنَ مَضَى الشَّارِيْ؟"

٣١- مَرَرْتُ بِخَزَّافٍ بَدَا لِيَ غَضْبَانَا
يُرِيْ طِيْنَةً فِي صَوْغِهَا الْعُنْفَ أَلْوَانَا
فَقَالَتْ لَهُ: "كُفَّ ازْدِرَاءَكَ وَالأَذَى،
فَقَدْ كُنْتُ فِيْمَا فَاتَ مِثْلَكَ إِنْسَانَا"

٣٤- نَهَارٌ وَلَيْلٌ قَبْلَنَا فِي تَعَاقُبٍ
وَمَا دَارَ مِنْ فُلْكٍ بِغَيْرِ مَآرِبِ
فَكُنْ حَانِيَاً فِي السَّيْرِ إِنَّ دُرُوْبَنَا
تُرَابٌ أَتَى فِي الأَصْلِ مِنْ عَيْنِ كَاعِبِ

٣٥-يُرِيْ الْوَرْدُ فِي هذِيْ الرُّبَى لَوْنَهُ الْقَانِيْ
دِمَاءَ مُلُوْكٍ أُهْرِقَتْ قَبْلَ أَزْمَانِ
وَأُقْسِمُ مَا أَهْدَى الْبَنَفْسَجُ لَوْنَهُ
سِوَى خَالِ حُسْنٍ كَانَ فِي خَدِّ فَتَّانِ

٣٦- نَمَا الْعُشْبُ مِنْ خَدٍّ صَرِيْعٍ هَلاكِ
تَرَفَّقْ بِهِ، سِرْ لِلنَّسِيْمِ تُحَاكِيْ

فَكُلُّ زُهُوْرِ الرَّوْضِ وَالْعُشْبُ أَصْلُهَا
شِفَاهُ جَمِيْلاتٍ بِحُسْنٍ مَلاكِ
٣٧- قَضَاءٌ بِقَطْفِ الْوَرْدِ دَانِيْهِ وَالنَّائِيْ
لِيُلْقَى إِلَى جَوْفِ الثَّرَى دُوْنَ إِبْطَاءِ
وَلَوْ جَذَبَتْ هذِيْ السَّمَاءُ تُرَابَنَا
لأَمْطَرَتِ الدُّنْيَا دِمَاءً بِلا مَاءِ
٣٩- لِشِدَّةِ سُكْرِيْ أَمْسِ لَمْ أَدْرِ مَا سُبِلْيْ
فَكَسَّرْتُ كَأْسِيْ عَابِثاً، فَعَلَةَ الثَّمِلْ
فَقَالَ: "تَرَفَّقْ، كُنْتُ مِثْلَكَ سَابِقاً،
وَأَنْتَ غَداً لا بُدَّ مُنْقَلِبٌ مِثْلِيْ"
٤٠- مَضَى أَخْلَصُ الْخِلاَّنِ يَا وَيْحَ أَيَّامِيْ
وَطَالَهُمُ سَحْقُ الْمَنُوْنِ بِأَقْدَامِ
شَرِبْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْخَمْرِ ذَاتِهَا
وَمِنْ قَبْلِنَا مَاتُوْا بِبِضْعَةِ أَعْوَامِ
٤١- أَيَا حَسْرَتَا، سِفْرُ الصِّبَا طَيُّ فُقْدَانِ
طَوَى مَعَهُ عَنِّيْ رَبِيْعاً بِلا ثَانِ
أَتَى عَنْدَلِيْبٌ لِلشَّبَابِ فَزَارَنِيْ
وَوَلَّى، فَلَمْ أَشْعُرْ بِوَصْلٍ وَهِجْرَانِ
٤٢- حَبَتْكُمْ يَدُ الْخَيَّامِ مَوْئِلَ عِرْفَانِ
فَدَوَّبَهُ فِيْ عَيْشِهِ صَهْرُ أَحْزَانِ
وَقَطَّعَتِ الأَقْدَارُ أَطْنَابَ عُمْرِهِ
فَكَمْ لِلْمُنَى بَيْعٌ بِأَرْخَصِ أَثْمَانِ
٤٤- عَجِبْتُ بِخَزَّافٍ بَدَا حِيْنَ تَطْوَافِيْ
يَدَاهُ تَصَوْغَانِ التُّرَابَ لأَصْنَافِ
وَإِنْ فَاتَ غَيْرِيْ أَنْ يَرَى، أَنَا مُبْصِرٌ
تُرَابَ أَبِيْ يَعْلُوْ يَدَيْ كُلَّ خَزَّافِ
٤٧- بِرِيْحِ الصَّبَا تَلْقَى الْفَنَاءَ وُرُوْدُ
فَيَهْتَزُّ غَرِيْدٌ لَهَا وَيَمِيْدُ
فَقُمْ نَتَفَيَّأْ ظِلَّهَا قَبْلَ فَقْدِهَا
أَتَتْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ فِيْهِ تَعُوْدُ
٤٨- يَدُ الْمَوْتِ كَمْ أَدْمَتْ فُؤَاداً بِلا زَاجِرْ
وَمَا ذَاقَ طُوْلَ الْعُمْرِ مِنْ مَالِهَا الْوَافِرْ
فَمَنْ لِيْ بِمَنْ قَدْ آبَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ؟
لِيُخْبِرَنِيْ مَا صَارَ فِيْ الْعَالَمِ الآخِرْ
٥٤- مَضَيْتُ بِلا شَيْءٍ إِذَا تُنْعِمُ النَّظَرْ
وَلَمْ أَجْنِ شَيْئاً بَاقِياً، مُدَّةَ الْعُمُرْ
أَنَا شَمْعَةُ النُّدْمَانِ أَشْكُوْ احْتِرَاقَهَا
أَنَا كَأْسُ جَمْشِيْدٍ وَلكِنْ سَأَنْكَسِرْ
٥٨- فَصُوْرَةُ هذَا الْكَوْنِ وَالنَّاسِ مَأْثُوْرَهْ
كَفَانُوْسِ عَرْضٍ سَاحِرٍ إِذْ نَرَى نُوْرَهْ
فَشَمْعَتُهُ ذِيْ الشَّمْسُ، أَمَّا فَنَارُهُ
فَعَالَمُنَا، وَالنَّاسُ فِيْ بُؤْسِهِمْ صُوْرَهْ
٥٩- أَيَا لَيْتَنَا نَلْقَى لِرَاحَتِنَا مَهْدَا
وَفِيْ غَابَةٍ نَلْقَى لِرِحْلَتِنَا حَدَّا
وَيَا لَيْتَنَا -إِنْ مَرَّ دَهْرٌ- مِنَ الثَّرَى
نَعُوْدُ لِوَجْهِ الأَرْضِ، حَتَّى وَلَوْ وَرْدَا
٦٢- نَجِيْءُ لِحَانُوْتٍ بِبَابَيْنِ نَحْفِدُ
فَنَرْبَحُ هَمَّاً، ثُمَّ نَرْدَى فَنُبْعَدُ
سَعِيْدٌ إِذَنْ مَنْ جَاءَ فِيْنَا لِلَحْظَةٍ
وَمَنْ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّهُ قَطُّ أَسْعَدُ
٦٣- لَمَا جِئْتُ هذَا الدَّيْرَ لَوْ قِيْلَ لِيْ:
"تَقَبَّلْ؟"
وَلَوْ قِيْلَ لِيْ: "هَلْ عَنْهُ تَمْضِيْ؟"؟ فَلَنْ
أَقْبَلْ
وَقَدْ كَانَ خَيْراً غَالِباً لِكِلَيْهِمَا
إِذَا لَمْ أَجِئْ ضَيْفَاً، وَلَمْ أَبْقَ، أَوْ أَرْحَلْ
٦٥- سَتَمْضِيْ عَنِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ آفِلُ
وَلَوْ عِشْتَ حَتَّى الأَلْفِ إِنَّكَ رَاحِلُ
مَصِيْرُكَ فَرْدٌ لَيْسَ يُوْجَدُ غَيْرُهُ
وَفِيْهِ يُسَاوِيْ الْمَلِكَ ذَا الْعِزِّ سَائِلُ
٦٧- أَتَكْتُمُ إِنْ أَبْلَغْتُ سَمْعَكَ أَسْرَارِيْ؟
وَكَيْفَ ابْتِدَا الإِنْسَانُ فِيْ هذِهِ الدَّارِ؟
أَخُوْ النَّحْسِ مَجْبُوْلٌ بِطِيْنِ نَوَائِبِ
أَتَى قَدَرٌ يَوْمٍ وَاخْتَفَى غَيْرَ مُخْتَارِ
٧٠- أَيَا نَفْسُ لا تَرْجِيْ مِنَ الدَّهْرِ إِحْسَانَا
وَلا تَطْلُبِيْ فِيْ دَوْرَةِ الْفُلْكِ مَعْوَانَا
وَيَفْضُلُ ذَا صَبْرٌ بِكُلِّ مُلِمَّةٍ
طِلابُ الدَّوَا مُهِّدَ لِدَائِكَ إِمْكَانَا
٧١- شَكَتْ وَرْدَةٌ لِلطَّيْرِ بِالأَمْسِ أَيَّامَا:
"مَنِ اسْتَقْطَرُوْا مَائِيْ أَرَوْنِيَ آلامَا
أَلَمْ يَكْفِهِمْ حُسْنِيْ بَهِيْجَاً؟"، أَجَابَهَا:
"فَمَنْ ضَاحِكُ السَّاعَاتِ لَمْ يَبْكِ
أَعْوَامَا؟"
٧٢- إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْفِكْرِ فِي الْفُلْكِ مِنْ نَفْعِ
فَتِسْعُ سَمَاوَاتٍ سَوَاءٌ مَعَ السَّبْعِ
وَإِنْ كَانَ حَقَّاً مَوْتُنَا، سَوْفَ نَسْتَوِيْ
فَرِيْسَةَ دُوْدِ الرَّمْسِ أَوْ لُقْمَةَ السَّبْعِ
٧٣- تُرَابٌ بِهِ أَشْلاءُ جَمْشِيْدَ-كَقْبَادٍ
وَعَيْشٌ قَصِيْرٌ، كَيْفَ يُرْجَى لإِسْعَادِ؟
وَمَا عُمْرُنَا إِلا أَسَاطِيْرُ أَوْ رُؤَىً
وَبَعْضُ خَيَالاتٍ تَغَنَّى بِهَا حَادِ
٧٤- عَلَى هذِهِ الدُّنْيَا يَحِلُّ تَبَابُ
بِيَوْمٍ سَنَمْضِيْ إِثْرَهُ، وَخَرَابُ
وَهَلْ ضَرَّهَا مِنْ قَبْلُ أَنْ لَمْ نَكُنْ بِهَا؟
لِتَشْكُوَ مِنَّا أَنْ يَكُوْنَ غِيَابُ!
٧٦- إِلامَ سَتَبْقَى يَا صَدِيْقِيَ جَوَّالا
فَتَحْدُوْكَ أَحْلامٌ، وَتَتْبَعُ آمَالا
مَضَى قَبْلَنَا نَاسٌ، وَنَمْضِيْ، وَغَيْرُنَا
يَجِيْءُ وَيَمْضِيْ لَنْ يُلاقِيْ الْهَنَا لا لا
٧٧- غَرِقْنَا بِتَفْكِيْرٍ فَلا الْفِكْرُ قَدْ هَنَّا
وَلا سَعْيُنَا أَفْضَى لِنَيْلِ الَّذِيْ رُمْنَا
أَتَيْنَا إِلَى الدُّنْيَا لِنَمْكُثَ لَحْظَةً
فَجِئْنَا وَمَا كِدْنَا، وَفِيْ عَجَلٍ رُحْنَا
٧٩- إِذَا صِرْتُ يَوْمَاً خَالِقاً بِقَضَاءٍ
حَكَمْتُ عَلَى دُنْيَاكُمُ بِفَنَاءِ
وَجِئْتُ بِأُخْرَى يُسْتَطَابُ مَذَاقُهَا
يُسَرُّ بِهَا الأَحْرَارُ دُوْنَ عَنَاءِ
٨٠- لِمَاذَا نَرَى فِي الْمَوْتِ خَاتِمَةً مُرَّهْ؟
وَلَيْسَ يَمُوْتُ الْمَرْءُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّهْ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ظُفْرٌ وَجِلْدٌ وَلا دَمٌ
لِمَاذَا إِذَنْ بِتْنَا نَهَابُ الرَّدَى فِكْرَهْ؟
٨٣- شَكَتْ رُوْحِيَ النَّفْسَ الظَّلُوْمَ لِعُدْوَانِ
وَآلامُهَا أَفْضَتْ لِسُقْمٍ وَأَحْزَانِ
تُرَى مَا الَّذِيْ يُجْدِيْهِ مُكْثِيْ لِعَالَمِيْ
وَدَهْرِيْ يَرَى مُكْثِيْ وَفَقْدِيَ سِيَّانِ

٨٤- أَيَا تَعْسَنَا إنَّا نُصَابُ بِمَقْتَل
كَأَنَّ السَّمَا تُرْدِيْ الْجُمُوْعَ بِمِنْجَل
نُعَانِقُ فَقْدَاً، وَالْهَنَاءُ مُحَرَّمٌ
عَلَيْنَا وَلَوْ خَطْفَاً، كَذَا عُمْرُنَا بَلِيْ
٨٥- بِإغْدَاقِ سَاقٍ هَا أَنَا امْتَدَّ بِيْ عُمْرِيْ
وَمِنْ خِبْرَتِيْ بِالنَّاسِ بِتُّ أَخَا حِذْرِ
وَفِيْ الْكَأْسِ مِنْ أَمْسِيْ بَقِيَّةُ خَمْرَةٍ
فَكَمْ لِيْ بِكَأْسِ الْعُمْرِ؟ يَا لَيْتَنِيْ أَدْرِيْ!
٨٦- بِرَبِّكُمُ، بَعْدَ انْتِهَاءِ مَدَى عُمْرِيْ
إذَا بِتُّ فِيْ حَتْفِيْ كَدِيْكٍ بِلا أَزْرِ
فَصُوْغُوْا كُؤُوْسَاً مِنْ تُرَابِيْ لَعَلَّنِيْ
أَعُوْدُ فَأَحْيَى حِيْنَ تُمْلَأُ بِالْخَمْرِ
٨٧- إلامَ احْتِمَالِيْ سُؤْلَ: "هَلْ نِلْتُ مَا يَكْفِيْ؟"
وَ"هَلْ سَوْفَ يَأْتِيْنِيْ الْهَنَا مَالِئَاً كَفِّيْ؟"
فَهَاتِ اسْقِنِيْ كَأْسَاً مِنَ الْخَمْرِ إنَّنِيْ
لَأَجْهَلُ إنْ كَانَتْ سَتَمْكُثُ فِيْ جَوْفِيْ
٨٨- تَلَذَّذْ أَيَا خَيَّامُ بِالْخَمْرِ لا تَنْفَدْ
بِصُحْبَةِ فَتَّانٍ، وَمِنْ سِحْرِهِ فَازْدَدْ
إذَا كَانَ هَذَا الْعَيْشُ يَمْضِيْ إلَى الْبِلَى
فَهَبْ لَمْ تَكُنْ قَبْلاً، وَمِنْ لَحْظَةٍ فَاسْعَدْ
٨٩- أَفَقْتُ عَلَى صَوْتٍ مِنَ الْحَانِ فِيْ السَّحَرِ
يُنَادِيْ: "أَيَا مَجْنُوْنُ أَقْبِلْ إلَى الْخَمْرِ
هَلُمَّ وَدَعْ أَقْدَاحَنَا تَمْتَلِئْ بِهَا
فَنَسْبِقَ دَهْرَاً مَالِئَاً كَأْسَ ذَا الْعُمْرِ"
٩٠- أَرِحْ بِالْطُّلا قَلْبَاً وَبِالنَّفْسِ فَارْفُقِ
وَدَعْ ذِكْرَ مَاضٍ، وَاتْرُكَنْ قَادِمَاً بَقِيْ
وَأَطْلِقْ سَرَاحَ الرُّوْحِ يَكْفِيْكَ حَبْسُهَا
وَتَكْبِيْلُهَا فِيْ قَيْدِ عَقْلٍ وَمَنْطِقِ
٩٢- لِدَيْرٍ كَهذَا عَنْ مَقَامَاتِنَا بَوْنُ
وَمَا هُوَ لِلسُّكْنَى، جَدِيْرٌ بِهِ اللَّعْنُ
إلامَ احْتِصَامٌ فِيْ قَدِيْمٍ وَمُحْدَثِ؟
أَيَعْنِيْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ كَيْفَ أَتَى الْكَوْنُ؟
٩٣- سَمِعْتُ بِأَحْلامِيْ اللَّبِيْبَ يَقُوْلُ:
لِزَهْرِ رِيَاضِ النَّائِمِيْنَ ذُبُوْلُ
أَيُجْدِيْكَ نَوْمٌ وَهُوَ لِلْمَوْتِ صِنْوُهُ؟
أَفِقْ، لَكَ نَوْمٌ فِيْ التُّرَابِ طَوِيْلُ
٩٤- غَدَاً سَوْفَ أَطْوِيْ لِلْمُرَاءَاةِ عُنْوَانَا
وَأَمْضِيْ بِشَيْبِ الرَّأْسِ أَقْتَحِمُ الْحَانَا
فَمَا لابْنِ سَبْعِيْنَ سَبِيْلُ مَلَذَّةٍ
إذَا أَفْلَتَ اللَّذَّاتُ مِنْ يَدِهِ الآنَا
٩٦- أَقُوْلُ لِمَنْ أَهْوَى: "اسْكُبِيْ الْخَمْرَ تَسْكَابَا
بِرَوْضٍ قَصِيٍّ كَانَ بِالْمَاءِ مُنْسَابَا
قَدِ اعْتَادَ هذَا الْفُلْكُ تَشْوِيْهَ غَادَةٍ
فَتُعْطَى لِخَزَّافٍ لِيَصْنَعَ أَكْوَابَا"
٩٨- وَمَا دَهْرُنَا إنْ حَانَ آنُ رَحِيْلِ
بِمُهْلِنَا وَقْتَاً لِبَلِّ غَلِيْلِ
هَلُمَّ إذَنْ نَنْقَعْ بِخَمْرٍ غَلِيْلَنَا
بِكَأْسِ الرَّدَى نَرْدَى غَدَاً كَقَتِيْلِ
٩٩- تَسُوْغُ لَنَا ذِيْ الْخَمْرُ يَا خَيْرَ نُدْمَانِيْ
فَصُبَّ لَنَا مِنْهَا، وَهذانِ كُوْزَانِ
سَنُمْسِيْ تُرَابَاً بَعْدَ حِيْنٍ يَرَوْنَهُ
كُؤُوْسَاً وَأَكْوَابَاً لَدَى كُلِّ دُكَّانِ
١٠٤- خُلِقْنَا بِرَغْمٍ لَمْ نُخَيَّرْ بِإعْفَاءِ
وَنَرْحَلُ قَهْرَاً، وَالْمُنَى مَحْضُ أَشْلاءِ
فَهَاتُوْا لِيَ السَّاقِيْ وَأَمْهِرَ عَازِفٍ
لِنَغْسِلَ آلامَ الْحَيَاةِ بِصَهْبَاءِ
١٠٥- إلامَ سَيَبْقَى النَّاسُ أَسْرَى لَدَى الْعَقْلِ؟
تَشَبَّثْ بِكَأْسِ الرَّاحِ وَاشْرَبْ عَلَى مَهْلِ
سَيَجْعَلُكَ الْخَزَّافُ كَأْسَاً لِمَاجِنٍ
وَعَيْشُكَ يَوْمَاً أَوْ لِقَرْنٍ مِنَ الْمِثْلِ
١١٠- حَيِيْتُ مَدَى عُمْرِيْ وَلَمْ أَصْحُ مِنْ سُكْرِ
وَلا بُدَّ مِنْ سُكْرِيْ وَلَوْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
يَدِيْ تَحْضُنُ الإبْرِيْقَ، لِلْكَأْسِ قُبْلَتِيْ
وَأَلْقَى الْخَوَابِيْ أَصْبَحَتْ مَسْنَدَ الصَّدْرِ
١١٢- دَعِ الْحُزْنَ يَا بَدْرَاً أَتَى الْحُزْنُ يَغْشَاهُ
فَعِلْمُ الَّذِيْ فِي الْغَيْبِ سِرٌّ جَهِلْنَاهُ
وَفِيْ ضَوْءِ هذَا الْبِدْرِ فَانْهَلْ مِنَ الْطِّلا
سَيَطْلُعُ تَكْرَارَاً وَلَسْنَا لِنَلْقَاهُ
١١٣- أَنَا عَابِدُ الصَّهْبَاءِ، أَلَّهْتُ أَلْحَانَا
وَدِيْنِيَ هَجْرُ الدِّيْنِ وَالْكُفْرِ هِجْرَانَا
سَأَلْتُ عَرُوْسَ الدَّهْرِ عَنْ قَدْرِ مَهْرِهَا
فَرَدَّتْ: "أُرِيْدُ الْمَهْرَ قَلْبَكَ نَشْوَانَا"
١١٤- أَدِرْ أَكْؤُسَاً لِلْخَمْرِ يَا أَيُّهَا السَّاقِيْ
وَأَفْرِغْ دَمَ الإبْرِيْقِ فِيْ كَأْسٍ مُشْتَاقِ
فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ خِلاً أَبُثُّهُ
شُجُوْنِيْ، وَهذَا الْكُوْزُ فِيْ صُحْبَتِيْ بَاقِيْ
١١٥- تَرَنَّحَتِ الأَزْهَارُ فِي الرَّوْضِ مِنْ جَذَلْ
فَيَا أَيُّهَا السَّاقِيْ تَقَدَّمْ عَلَى عَجَلْ
وَسَارِعْ لِقَطْفِ الْوَرْدِ مَعْ كُلِّ جُرْعَةٍ
رِيَاضُكَ قَدْ تُمْسِيْ تُرَابَاً بِلا مَهَلْ
١١٦- تَكَرَّمْ وَزِدْنِيْ الآنَ سُكْرَاً عَلَى سُكْرِيْ
وَقَدِّمْ غَدَا رُوْحِيْ وَنَفْسِيْ بِذِيْ الْخَمْرِ
وَضَعْ فِيْ يَدِيْ كَأْسَاً بِدُنْيَا خُرَافَةٍ
فَمَا عَيْشُنَا شَيْئَاً، وَيَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ
١١٨- لِذَا الْفُلْكِ عُمْقٌ لا يُقَاسُ لَهُ غَوْرُ
فَعِشْ طَرِبَاً يُقْصِيْ شَوَاغِلَكَ السُّكْرُ
وَدَعْ أَيَّ شَكْوَىً إنْ أَتَى الْمَوْتُ سَاقِيَاً
فَإنَّ الرَّدَى كَأْسٌ وَكُلٌّ لَهُ دَوْرُ
١١٩- بِنَفْسَجَةٌ فِيْ ثَوْبِهَا الصِّبْغُ قَدْ ظَهَرْ
وَمَرُّ الصِّبَا قَدْ فَكَّ أَكْمَامَ ذَا الزَّهَرْ
فَنَادِمْ هُنَا حَسْنَاءَ فِيْ لَوْنِ فِضَّةٍ
وَمِنْ بَعْدِ سُكْرٍ فَاكْسِرِ الْكَأْسَ بِالْحَجَرْ
١٢٠- وَلَوْ لَحْظَةً فَاطْرَبْ بِعُمْرٍ سَتَحْيَاهُ
وَلا تَجْزَعَنْ غَمَّاً بِمُثْوَىً سَتَنْسَاهُ
فَلَيْسَ الْوَفَا فِي الدَّهْرِ طَبْعَاً يَزِيْنُهُ
وَإلا لَمَا نِلْنَا الَّذِيْ فِيْهِ نِلْنَاهُ
١٢١- قَرَارُ الْقَضَا فِي اللَّوْحِ يَا خِلُّ أَفْنَانَا
فَلا يَنْثَنِيْ إلا وَفِي الْيَدِ رُوْحَانَا
فَسَارِعْ لِشُرْبِ الرَّاحِ فِيْ ظِلِّ رَوْضَةٍ
فَعَمَّا قَرِيْبٍ يُنْبِتُ الزَّهْرَ رَمْسَانَا
١٢٣- بِوَرْدٍ وَخَمْرٍ تَكْسِبُ الْعَيْشَ فِي سَعَدِ

بِصُحْبَةِ مَنْ نَالَتْ جَمَالاً بِلا حَدّ
سَيَأْتِيْ قَمِيْصَ الْعُمْرِ ذِئْبٌ مُمَزِّقُ
لَهُ مِثْلَ تَمْزِيْقِ الْغَلائِلِ فِيْ الْوَرْدِ
١٢٤- هَلُمَّ وَدَاعِبْ شَعْرَ فَاتِنَةِ الْحُسْنِ
سَيَعْبَثُ فِيْ أَجْسَامِنَا الدَّهْرُ إِذْ يُفْنِيْ
وَعَاقِرْ طِلاً قَبْلَ الرَّحِيْلِ إِلَى الْفَنَا
فَقَلْبٌ بِهِ خَمْرٌ حَرَامٌ عَلَى الْحُزْنِ
١٢٧- لَقَدْ جَاءَنَا يَوْمٌ جَدِيْدٌ مِنَ الْعُمْرِ
يَمُرُّ كَمَاءِ النَّهْرِ، وَالرِّيْحِ فِيْ الْقَفْرِ
وَمَا عِشْتُ لا أَرْضَى مِنَ الأَمْسِ هَمَّهُ
وَلا مِنْ غَدٍ مَا زَالَ فِيْ جُعْبَةِ الدَّهْرِ
١٢٨- عَلَى جَدْوَلٍ، فِيْ رَوْضَةٍ مُلِئَتْ وَرْدَا
تُنَادِمُنَا حُوْرِيَّتَانِ، نَرَى السَّعْدَا
أَدِرْ بَيْنَنَا الأَقْدَاحَ إِنِّيْ طَلِيْقُهَا
وَهَيْهَاتَ أَنْ أُمْسِيْ لِمَسْجِدِهِمْ عَبْدَا
١٢٩- أَتَدْرِيْ لِمَاذَا صَاحَ ذَا الدِّيْكُ فِيْ السَّحَرْ؟
يُدِيْمُ نُوَاحاً كُلَّ صُبْحٍ بِلا ضَجَرْ
رَأَتْ عَيْنُهُ صُبْحاً خَيَالاً لِلَيْلَةٍ
مَضَتْ فَخَسِرْنَاهَا وَمَا بَشَرٌ شَعَرْ
١٣٠- تُكَافِحُ فِيْ جَمْعِ اللُّجَيْنِ عَلَى التِّبْرِ
فَتَحْصُدُ آلاماً وَحُزْناً عَلَى الإِثْرِ
تَنَعَّمْ وَمَنْ تَهْوَى بِمَالٍ جَنَيْتَهُ
وَلا تُوْرِثَنَّهُ لِلْعِدَا آخِرَ الْعُمْرِ
١٣١- لَكَمْ مِنْ أَيَازٍ كَانَ أَوْ كَانَ مَحْمُوْدُ
فَمَاتُوْا بِأَمْرِ الدَّهْرِ، وَالْمَوْتُ مَوْرُوْدُ
أَدِرْ خَمْرَةً فِي الْكَأْسِ، لا عُمْرَ بَعْدَ ذَا
وَمَنْ غَادَرُوْا الدُّنْيَا فَلَنْ يُسْمَعُوْا: "عُوْدُوْا"
١٣٣- سَأَلْتُ حَكِيْماً كَانَ فِيْ حَانَةِ الْبَلَدْ:
"أَعِنْدَكَ عَمَّنْ فَارَقُوْا عَيْشَهُمْ سَنَدْ؟"
فَقَالَ: "خُذ الصَّهْبَاءَ إِنْ كُنْتَ ظَامِئاً،
فَمَا عَادَ مِنْ كُثْرِ مَضَوْا قَبْلَنَا أَحَدْ"
١٣٤- تَشُقُّ الصَّبَا فِيْ ذِيْ الْوُرُوْدِ الْغَلائِلا
فَيُطْرِبُ ذَاكَ الْحُسْنُ حَتَّى الْبَلابِلا
فَقَبْلَ فَوَاتِ الآنِ سَارِعْ لِسَكْرَةٍ
سَتَأْتِيْ رِيَاحٌ تَطْرَحُ الْوَرْدَ ذَابِلا
١٤٠- قَضَاءٌ أَتَى بِالْقَيْدِ صَوْبَ يَدِيْ يُلْقَى
بِلَحْظَةِ إِدْرَاكِيْ بِأَيِّ يَدٍ أُسْقَى
فَمَا لِيَ لا أَبْكِيْ زَمَاناً يَمُرُّ بِيْ؟
وَلَم أَقْرَبِ الصَّهْبَاءَ فِيْهِ وَلا الْعِشْقَا
١٤١- أَدِمْ شُرْبَكَ الصَّهْبَاءَ ذَا مُلْكُ مَحْمُوْدِ
وَأَصْغِ لِمَنْ غَنَّى فَذَا لَحْنُ دَاوُدِ
وَدَعْ عَنْكَ مَا وَلَّى وَمَا هُوَ قَادِمٌ
وَعِشْ لاهِياً لَذَّاتُهُ خَيْرُ مَنْشُوْدِ
١٤٢- مَلَكْتَ فَقَطْ سَاعَاتِ يَوْمِكَ تَحْوِيْهَا
دَعِ الْخَوْفَ مِنْ آتٍ غَداً سَوْفَ يَتْلُوْهَا
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِيْ أَنْ سَتَفْنَى دَقَائِقٌ
تَلِيْ هذه، فَاحْرِصْ عَلَيْهَا وَعِشْ فِيْهَا
١٤٣- أَيَا نَفْسُ لَوْ نِلْتِ الَّذِيْ أَنْتِ تَبْغِيْنَا
وَوَشَّحَ هذَا الدَّهْرُ رَوْضَكِ نَسْرِيْنَا
أَلَسْنَا بِدُنْيَانَا نَدَىً حَلَّ لَيْلَةً
عَلَى زَهْرَةٍ يَأْتِيْ النَّهَارُ فَيُخْفِيْنَا؟
١٤٤- بِقُرْبِ غَدِيْرٍ فَاحَ عِطْرٌ لِوَرْدَاتٍ
فَضَاعَفَ حُبِّيْ الْفَرْحَ يَمْلأُ سَاعَاتِيْ
أَنَا طَالِبُ اللَّذَّاتِ مَعْ خَمْرَةٍ بِهَا
هِيَامِيَ فِي الْمَاضِيْ وَآنِيْ وَمَا يَاتِيْ
١٤٥- دَعِ الْبَحْثَ لا تَدْرُسْ كَعَادَةِ ذِيْ النَّاسِ
وَرِبِّتْ عَلَى شَعْرِ الْحَبِيْبِ بِإِحْسَاسِ
إِذَا كَانَ عَزْمُ الدَّهْرِ سَفْكَ دِمَائِنَا
فَسَارِعْ لإِهْرَاقِ السُّلافِ مِنَ الْكَاسِ
١٤٦- هُمُوْمُ غَدٍ يَا خِلُّ سَاءَتْ حَبَائِلا
فَدَعْنَا نَفُزْ بِاليَوْمِ غُنْمَاً وَنَائِلا
فَإِنَّا لَدَى تَرْكِ الدِّيَارِ بِمَوْتِنَا
كَمَنْ قَبْلَنَا مَاتُوْا وَرَاحُوْا أَوَائِلا
١٤٧- تَمَتَّعْ بِمَا تَلْقَى فَشَكْلُكَ رَائِعُ
وَأَنْتَ بِذِيْ اللَّذَّاتِ وَالْخَمْرِ رَاتِعُ
فَنَلْ كُلَّ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ وَعِشْ لَهَا
فَسِيَّانِ عِنْدَ اللهِ عَاصٍ وَطَائِعُ
١٤٨- دَعِ الصَّعْبَ إِنَّ الصَّعْبَ بَاتَ مُحَالا
وَفِيْ إِبْنَةِ الأَعْنَابِ هَاتِ مَقَالا
فَنَيْلُ فَتَاةٍ فِي الْحَرَامِ لَذَاذَةٌ
تَفُوْقُ كَثِيْرَاً نَيْلَ الأُمِّ حَلالا
١٤٩- نَدِيْمِيْ: بِمَنْ مَاتُوْا يَدِبُّ فَنَاءُ
هُمُ الآنَ فِيْ بَطْنِ الثَّرَى أُسَرَاءُ
فَقُمْ نَشْرَبِ الصَّهْبَاءَ، وَاسْمَعْ حَقِيْقَةً:
مَقَالاتُ مَنْ ذَاقُوْا الْمَمَاتَ هَبَاءُ
١٥٠- إِلامَ بِأَفْكَارٍ يَطُوْلُ عَنَاءُ
دَعِ الْجَهْدَ فِيْهَا، كُلُّ ذَاكَ هَبَاءُ
وَأَطْرِبْ بِأَلْحَانٍ فَنَحْنُ لِتُرْبَةٍ
وَهَاتِ الْطِّلا يَا خِلُّ، نَحْنُ هَوَاءُ
١٥٣- إِذَا لَمْ تَكُنْ عَبْداً وَلَسْتَ بِسَيِّدٍ
وَعِنْدَكَ كِسْرَاتٌ مِنَ الْخُبْزِ فِي الْيَدِ
وَتَمْلِكُ كُوْخاً أَنْتَ تَاوٍ بِظِلِّهِ
فَأَنْتَ سَعِيْدٌ، دُمْتَ غَيْرَ مُقَيَّدِ
١٥٤- يَقُوْلُوْنَ: "فِي الْفِرْدَوْسِ حُوْرٌ"، أَنَا أَشْهَدْ
وَأَنْهَارٌ شَهْدٌ فِيْهِ خَمْرٌ بِهَا نَسْعَدْ
فَهَاتِ سُلافاً أَحْتَسِيْهَا مُقَدَّماً
فَمَا بِيَدَيْ خَيْرٌ مِنَ الْفٍ بِهِ أُوْعَدْ
١٥٥- حَرَامٌ لَدَيْنَا تَرْكُكِ الصَّدْرَ مَحْزُوْنَا
وَسَحْقُكِ وَقْتَ اللَّهْوِ بِالْهَمِّ مَطْحُوْنَا
لِنَسْكَرْ وَنَعْشَقْ فِيْ حُبُوْرٍ بِآنِنَا
فَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَدْرِيْ بِمَا سَوْفَ يَأْتِيْنَا؟
١٥٧- سَنَحْظَى بِحُوْرٍ فِيْ غَدٍ مِنْحَةَ الْفَاطِرْ
وَأَنْهَارِ خَمْرٍ قِيْلَ: "تَيَّارُهَا زَاخِرْ"
فَلا بَأْسَ فِيْ عِشْقِ الْحِسَانِ وَسَكْرَةٍ
فَكُلٌّ لَنَا حِلٌّ بِعَالَمِنَا الآخِرْ
١٦٠- أَرَى الدَّهْرَ يَقْسُوْ فِيْ رَحِيْلِ لِخِلَّانِ
فَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا عَلَى إِثْرِ فُقْدَانِ
فَنَاصِلْ لأَجْلِ الْعَيْشِ فِي السَّعْدِ وَالْهَنَا
دَعِ الأَمْسَ وَالآتِيْ، عِشِ الآنَ فِي الآنِ
١٦٢- أَثَارَتْ طِبَاعٌ فِيَّ أَكْثَرَ مِنْ ثَالِبْ
فَإِنِّيَ مَخْلُوْقٌ صُبِبْتُ بِذَا الْقَالِبْ
وَلَسْتُ عَلَى تَحْسِيْنِ ذَاتِيَ قَادِراً
إِذَا رُمْتُ تَغْيِيْرَاً أَتَى قَالِبِيْ غَالِبْ

١٦٤- أَيَا أَيُّهَا السَّاقِيْ أَتَيْتُ أَنَا الأَشْيَبْ
وَفِيْ السُّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ كُنْتُ أَنَا الأَغْلَبْ
وَمَا بَشَرٌ إلا أَنِيْنِيْ بِأَذْنِه
سُلافُكَ أَصْبَتْنِيْ، فَقُلْ كَيْفَ لا أَشْرَبْ؟

١٦٥- نَصَبْتَ أَيَا رَبِّيْ الْحَبَائِلَ فِيْ دَرْبِيْ
وَأَوْصَيْتَنِيْ أَلَّا أُصَادَ أَيَا رَبِّيْ
وَكُلُّ الَّذِيْ فِي الْكَوْنِ طَوْعٌ لِمَا تَرَى
لأَمْرِكَ أَعْنُوْ، مَا مَرَقْتُ عَنِ الدَّرْبِ

١٦٦- تَمَعَّنْ بِقَصْرٍ زَادَ بَهْرَامَ أَمْجَادَا
وَقَدْ صَارَ مَغْدَىً بِالثَّعَالِبِ مُرْتَادَا
وَخُذْ عِبْرَةً فَالدَّهْرُ لِلْمُلْكِ صَائِدٌ
وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْمُلْكُ مَا عَاشَ صَيَّادَا

١٦٧- إِذَا جَاءَ عَزْرَائِيْلُ يُنْهِيْ لِيَ الْعُمْرَا
تَشَتَّتُ أَعْضَائِيْ وَمِنْ بَعْدِ ذَا تُهْرَا
فَمِنْ رَمْسِيَ اصْنَعْ كُوْزَ خَمْرٍ لِصَحْبِنَا
سَأُبْعَثُ حَيًّا حِيْنَ تَمْلَؤُهُ خَمْرَا

١٦٨- أَيَا صَحْبُ هَاتُوْا الْخَمْرَ قَدْ أَصْبَحَتْ قُوْتَا
لِيُمْسِيْ شُحُوْبُ الْخَدِّ فِي الإِثْرِ يَاقُوْتَا
وَإِنْ مِتُّ صُبُّوْا الْخَمْرَ فِيْ غَسْلِ جُثَّتِيْ
وَمِنْ كَرْمِهَا أَمِّلْتُ نَعْشاً وَتَابُوْتَا

١٦٩- بِدَهْرِكَ ذَا لا يَنْفَعُ الْعَاقِلَ الْعَقْلُ
وَسِرُّ مُحَابَاةِ الزَّمَانِ هُوَ الْجَهْلُ
فَسَارِعْ وَاسْكِرْنِيْ فَمَنْ فَاتَ عَقْلَهُ
لِخَيْرَاتِ هذَا الدَّهْرِ أَجْمَعِهَا أَهْلُ

نظمُ رباعيات ترجمها عيسى الناعوري نثراً

١-إلامَ سَيَبْقَى الْحُزْنُ يَرْمِيْكَ فِي الْكَرْبِ؟
وَمَا أَحَدٌ بِالْحُزْنِ دُلَّ عَلَى الدَّرْبِ
حَيَاةُ بَنِيْ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ بِأَمْرِهِمْ
دَعِ الأَمْرَ لِلأَقْدَارِ إِنْ كُنْتَ ذَا لُبِّ

٢- خُزِنَّا كَمَاءٍ فِي مَكَامِنَ فِي الظَّهْرِ
وَجِئْنَا إِلَى الدُّنْيَا بِشَهْوَةِ ذِيْ سُعْرِ
وَفِي الْغَدِ تَسْفِيْ الرِّيْحُ ذَرَّاتِ رَمْسِنَا
لِنَقْضِ بِشُرْبِ مَا لَدَيْنَا مِنَ الْعُمْرِ

٣- نُسَاقِيْ جَمِيْلاتٍ وَأَنْتُمْ عَلَى الْعَكْسِ
فَنَحْنُ إِلَى نَارٍ وَأَنْتُمْ لِفِرْدَوْسِ
وَلكِنْ إِذَا مَا كَانَ رَسَّامُنَا ارْتَأَى
عَلَى لَوْحَةِ الأَقْدَارِ هذَا، أَمِنْ رِجْسِ؟

٤- يَعِيْشُ سَعِيْداً كُلُّ حُرٍّ وَيَذْكُرُ
بِكُلِّ الرِّضَا نُعْمَى الإِلهِ فَيَشْكُرُ
وَيَنْزِعُ مِنْ دُنْيَاهُ نَفْعاً وَغِبْطَةً
فَيَحْيَى فَتَىً حُرّاً يُحِبُّ وَيَسْكَرُ

٥- تَعَقَّلْ أَخِيْ، لا تَحْزَنَنْ لِمُقَدَّرٍ
فَمَا لَكَ عِنْدَ الدَّهْرِ غَيْرُ الْمُقَدَّرِ
وَفِيْ لَوْحَةِ الأَقْدَارِ حُكْمٌ مُدَوَّنٌ
يُصِيْبُكَ حَتْماً دُوْنَ أَيِّ تَغَيُّرِ

٦- إِذَا بَاتَ لَوْحُ الدَّهْرِ بَيْنَ سِجِلَّاتِيْ
لَدَوَّنْتُ أَقْدَاراً بِحَسْبِ إِرَادَاتِيْ
فَلَمْ أُبْقِ آلاماً بِدُنْيَايَ كُلِّهَا
لأَشْمَخَ مَسْرُوْراً أَمَسُّ السَّمَاوَاتِ

٧- بِشُرْبِكَ لِلصَّهْبَاءِ تَحْظَى بِنِسْيَانِ
وَتُجْرِيْ دَمَاً فِي قَلْبِ صَاحِبِ شَنْآنِ
أَلِلصَّحْوِ مِنْ جَدْوَىً سِوَى جَلْبِ حُرْقَةٍ
لِقَلْبِكَ بِالتَّفْكِيْرِ فِي الْعُمُرِ الْفَانِيْ؟

٨- أَيَا خَالِقِيْ وَفْقَ الْمَشِيْئَةِ تَلْقَانِيْ
أَجَنَّ بِبِنْتِ الْحَانِ مَعْ وَقْعِ أَلْحَانِ
وَمَا دُمْتَ قَدْ كَوَّنْتَنِيْ قَبْلُ هكَذَا
لِمَاذَا إِذَنْ تَخْتَارُ حَرْقِيْ بِنِيْرَانِ؟

مراجع البحث

١- حوار مع د. يوسف بكار/ جريدة القدس العربي/ ٧ آب ٢٠١٣

٢، ٤ - قراءة في ترجمة جديدة لرباعيات الخيام/ د. شهاب غانم/ جريدة ١٤ أكتوبر/ العدد ١٤٤٩٤ في ٩ يونيو ٢٠٠٩

٣، ٧، ١٥- الترجمات العربية لرباعيات الخيام/ د. محمد السعيد جمال الدين

http://hekmah.org/%D٨%A٧%D٨٤%٩D٨AA%D٨B%١D٨AC%D٨٥%٩D٨A٧%D٨AA-%D٨A٧%D٨٤%٩D٨B%٩D٨B١%D٨AA%D٨A%٩A%D٨AA-%٩D٨٤%٩D٨B%١D٨AA%٨D٨A٧%D٨B%٩D٨%٩A%D٨AA٧%D٨AAA-%D٨A٧%D٨٤%٩D٨AE%D٨%٩A%D٨A٧%D٢-٨٥%٩/

٥- رباعيات عمر الخيام/ ترجمة مصطفى وهبي التل/ تحقيق: د. يوسف بكار/ ص١٧/ دار الجيل (بيروت) – مكتبة الرائد العلمية (عمان)/ ط١ في ١٩٩٠

٦- فوح الشذا.. أزاهير أردنية في الأدب والنقد/ د. يوسف حسين بكار/ ص ٤٤-٥٣/ الآن/ ط ١ في ٢٠١٥

٨- رباعيات عمر الخيام/ تعريب السيد أحمد الصافي النجفي/ ص ٦، ص ٧

٩- رباعيات الخيام/ أحمد رامي/ ص ٣٥/ دار الشروق/ ط ١ في ٢٠٠٠

١٠- ديوان عمر بن أبي ربيعة شاعر الحب والجمال/ ص ١٠٥/ المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٥

١١- ديوان أبي العتاهية ج ٢/ ص ٣٠٠/ طبعة دار بيروت ١٩٨٦

١٢- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ج ١/ ص ٢٨٠/ دار الكتاب العربي/ ط ٢ في ١٩٩٤

١٣- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج ٢/ ص ٢٥٦/ طبعة دار الكتاب العربي ١٩٨٦

١٤- (التدويرُ في الشعر- دراسةٌ في النحو والمعنى والإيقاع)/ الدكتور أحمد كشك/ ص ٥١/ ط ١ في ١٩٨٩